التقرير الأول عن: ميناء أكرا

«مجسات موقع القُصير الواقع جنوب الوجه»

إعداد: د. علي بن حامد غبان



في تاريخ ٩/ ١٠/ ١٤١٢هـ، حصلت على تصريح من إدارة الآثار والمتاحف لعمل مجسات في مبنى صغير يقع على بعد ٤٥ كيلو متراً جنوب مدينة الوجه، على مقربة من ساحل البحر الأحمر عند مصب وادي الحمض. ويعرف هذا المبنى باسم القصير عند سكان المنطقة، لاعتقادهم بأنه قصر صغير. وقد كنت أظن أنه المبنى الأثري الوحيد في المنطقة التي يقع فيها، وبعد العمل الميداني اتضح أنه جزء من موقع كبير متصل بساحل البحر بطريق ترابي مردوم، وأن له مرسىً يحمل اسم كركمة، وأن الآثار الظاهرة على سطح هذا الموقع ترجع إلى العصر النبطي وأن المبنى الموجود بهذا الموقع ما هو إلا معبد من ذلك العصر، مما جعلني أستنتج أن هذا الموقع هو موقع ميناء أكرا ـ كومه الذي ذكر في المصادر الكلاسيكية في معرض الحديث عن حملة القائد الروماني يوليوس غالوس الفاشلة على الجزيرة العربية، والتي تمت في عام ٢٤/ ٢٥ قبل الميلاد.

وقد استمر العمل في هذا الموقع مدة سبعة أيام من ٢٢/ ١٠ إلى ٢٨/ ١٠/ ١٤١٢هـ، تم خلالها مسح الموقع والمنطقة الساحلية المحيطة به، والتقاط بعض الكسر الفخارية من على سطح الموقع، وتنفيذ بعض المجسات. وقد تركزت أعمال الحفر على المبنى الصغير فقط، وشملت رفع الطبقة الرملية التي تنتشر على سطحه، وطبقة هدم البناء المتساقطة في داخل المبنى وعلى أضلاعه من الخارج، وعمل مجس صغير (١٠٠ × ١٥٠ سم) في داخل المبنى لفحص الأساسات.

● وصف معبد القصير ●

يقع المعبد على حافة الضفة الجنوبية لمجرى وادي الحمض، وإلى الجنوب منه تقع باقي التلال الأثرية التي تكون باقي الموقع. ويأخذ هذا المعبد شكلاً مستطيلا أبعاده ١٢,٩٠ × ٩,٨٥م، وأضلاعه تمتد على غير الاتجاهات الأصلية، وهو مبني من حجر الرخام المشذب، وترتفع أرضيته من الداخل بمقدار ١٢٠سم عن مستوى الأرض الخارجية بالموقع، ويصعد إليه على أربع درجات نفذت في مسطبة مبنية، تتقدم ضلعه الجنوبي الشرقي المواجه لمطلع الشمس. وتفضي هذه المسطبة إلى مدخل المعبد المحصور بين عمودين من الرخام، قاعدة أحدهما ما زالت موجودة في مكانها. وتتكون أرضية المعبد من الداخل من مستويين يرتفع أعلاهما بمقدار ٣٠سم عن المستوى المنخفض، ويأخذ هذا الأخير شكلا مستطيلا يمثل قلب المعبد من الداخل. وأرضية المعبد مبلطة ببلاطات الرخام، وقد عثرنا على مخربشات ورسوم منقوشة على إحدى هذا البلاطات.

ويلاحظ أن جدار الضلع الشمالي الشرقي للمعبد الذي يقع على حافة الوادي متهدم تمامًا، كما يلاحظ وجود الكثير من الأحجار الرخامية المشذبة في شكل اسطوانات أعمدة، وقواعد، وتيجان، وأفاريز من النوع الذي

يحمل فوق الأعمدة. وتكثر هذه الأحجار بخاصة في ركام هدم البناء الواقع على الضلعين الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي للمعبد. وأشكال هذه الأحجار الرخامية، المقطوعة بعناية شديدة، تشبه ما هو منفذ في واجهات المقابر النبطية بالحجر. وقد تم تجميع هذه الأحجار ووضعها بجانب مبنى المعبد. وتخطيط هذا المعبد يشبه تخطيط المعابد النبطية التي كشفت في منطقة النقب وجنوب الأردن.

● الطبقات الأثرية الموجودة بالمعبد ●

تتكون الطبقات الأثرية في معبد القصير من أربع طبقات:

الأولى: طبيعية التكوين، وهي عبارة عن تربة رملية جلبتها الرياح، واستقرت على سطح المبنى في أماكن متفرقة. وتختلف سماكة هذه الطبقة من مكان إلى آخر، وتزيد في بعض الأماكن عن ٣٠سم.

الطبقة الثانية: طبقة هدم بناء تتكون من تربة طينية مختلطة بملاط البناء، وبأحجار رخامية مشذبة، وأخرى بازلتية ورسوبية غير مشذبة. وفي هذه الطبقة تم العثور على معظم المعثورات الأثرية التي وجدتها بهذا المبنى. وتستقر هذه الطبقة على أرضية المعبد المبلطة ببلاطات الرخام.

الطبقة الثالثة: وهي تلي الأرضية المبلطة وتتكون من رديم تسوية وضع في بطن المعبد لرفع منسوب أرضيته من الداخل إلى مستوى يقارب مستوى المسطبة التي تتقدم مدخل المعبد، وتبلغ سماكة هذا الرديم ١٢٠سم، ويتكون من أحجار منظمة وأخرى غير منظمة، ومن تربة طينية ورملية وكسر جص، وبقايا المواد المستخدمة في بناء الجدران. وقد وضع هذا الرديم فوق الأرض العذراء بالموقع ويمكن تمييز أربعة أنواع من التكوين الطبقي في مواد الدفن التي يتكون منها هذا الرديم.

الطبقة الرابعة: طبقة رديم الأساس وهي مكونة من الحصى والطين.

● المعثورات ●

١ ـ المعثورات الحجرية:

* رحى من الحجر الرسوبي مكونة من قطعتين عثرت عليها بداخل المعبد في الطبقة الثانية.

* كسرة صغيرة من قاعدة عامود رخامي، عثرت عليها في الطبقة نفسها.

* جزء من تاج عمود من الرخام، عثرت عليها في الطبقة نفسها.

* كسرتين من إنائين مصنوعين من الحجرين الصابوني، عثرت عليهما في طبقة هدم البناء فوق المسطبة (شفة مع جزء من البدن).

* حجر رملي مشكل في هيئة مسحن صغير، عثرت عليه بداخل المعبد في طبقة هدم البناء.

* تاج عمود منحوت في حجرة من الرخام، يشبه التيجان النبطية.

٢ ـ الكسر الفخارية:

تم التقاط ما مجموعه ٢١٢ كسرة فخارية من الموقع الأثري المحيط بمبنى المعبد وجميعها من الفخار النبطي والفخار الروماني غير المزجج، باستثناء كسرة واحدة صغيرة عليها طلاء قلوي أزرق ميال للخضرة.

كما تم جمع ٦٨ كسرة فخار مختلفة الأنواع من طبقة الهدم التي بداخل المعبد ومن ركام الهدم المتساقط على أضلاعه الخارجية، وهي تماثل أنواع الفخار الملتقطة من الموقع المحيط بالمعبد، ومن بينها كسرة من جرة كبيرة عليها طلاء داخلي بالقار. كما تم العثور على كسرة فخار (جزء صغير من بدن إناء) في المجس الذي نفذناه بجانب الضلع الشمالي الشرقي للمعبد،

وهذه الكسرة توجد في آخر طبقة بالمجس على عمق ١٤٥سم من مستوى سطح المعبد، وهي طبقة رديم أساسات تعلو التربة العذراء مباشرة.

٣ ـ المعثورات البرونزية:

* قطعة برونزية قد تكون جناحًا صغيرًا لطائر، عثرنا عليها في الركام الخارجي للضلع الجنوبي الغربي للمعبد.
* قطعة كبيرة من البرونز تمثل طيات ثوب، أو جزء من جناح كبير لطائر وقد عثرنا عليها على الأرضية الرخامية للمسطبة التي تتقدم المدخل.
* قرن وعل غير مكتمل (عثر عليه في المكان نفسه).
* خمس كسر برونزية غير متميزة، قد تكون كسرًا لأواني أو أجزاءً من تمثال كبير (في المكان نفسه).
* قطعة برونزية تأخذ شكل جزء من مقبض (عثرت عليها في طبقة الرديم التي تعلو أرضية المعبد).
* قطعة برونزية على شكل رجل حصان (في المكان نفسه).
* مسماران من البرونز.

٤ ـ المخربشات الكتابية:

تم العثور في درجات المعبد على مخربشات كتابية بخط المسند الشمالي، عبارة عن أسماء أشخاص، وإلى جوارها رسوم منقوشة تصور وعولاً وأشكالاً رمزية. وعلى إحدى البلاطات الرخامية المثبتة في الأرضية الداخلية للمعبد نقشت مجموعة من الرسوم.

٥ ـ معثورات أخرى:

* مجموعة كسر من قشر بيض النعام، عثرت عليها في طبقة الهدم التي بداخل المعبد في نواحٍ مختلفة.

* مجموعة من الودع والقواقع بأحجام مختلفة، عثرت على أكثرها في الركام الخارجي الذي يحيط بأضلاع المعبد.

* ثلاث قطع صغيرة من القار، عثرت عليها بداخل المعبد في طبقة الهدم في زاوية المعبد الشمالية الغربية.

* قطعة معدنية مستديرة تأخذ شكل العملة وبها ثقب وليست عليها آثار حروف أو صور.

* كسرة زجاج صغيرة غير متميزة من بدن إناء أخضر اللون.

● تاريخ الموقع وعلاقته بميناء أكرا ●

تثبت جميع الأدلة الأثرية، من كسر فخارية وقطع برونزية وخربشات كتابية، أن تاريخ هذا المعبد والموقع المتصل به يرجع إلى العصر النبطي، ويؤكد ذلك طراز عمارة المعبد الذي يشبه طراز واجهات المقابر النبطية بالحجر، وتخطيط المعبد الذي يشبه تخطيط المعابد النبطية في جنوب الأردن. أما علاقة هذا الموقع بميناء اكرا فتأتي من كونه يقع على ساحل البحر الأحمر، ومن وجود مرسى متصلا به، فضلاً عن أن اكرا هو الاسم القديم لهذا المكان، وفيما يلي بعض الأدلة التي تثبت أن هذا الموقع هو ميناء أكرا المذكور في المصادر الكلاسيكية، التي تحدثت عن شمال غرب الجزيرة العربية في العصر النبطي:

- إن الموقع هو أقرب ميناء على البحر الأحمر لمنطقة الحجر والعلا إذ إنه يبعد عنها مسافة ١٧٠كم ويرتبط بها بطريق بري يسمى طريق الخرار.

- وجود آثار الميناء بالموقع وكون هذه الآثار من العصر النبطي، وهو العصر الذي تحدثت فيه المصادر عن هذا الميناء.

ـ وجود طراز عمارة الحجر (مدائن صالح) بالموقع الذي يلاحظ على واجهات المقابر بالحجر مثل استخدام الأعمدة والأفاريز والتيجان النبطية .

ـ وجود كتابات وخربشات في الموقع بالخط الذي كان مستخدمًا في منطقة العلا والحجر في تلك الفترة .

ـ إن الميناء ما زال حتى الآن يحمل اسم اكرا وقد عرف من بعض المصادر العربية باسم كرا وهو قريب جدًا لاسم اقرا الذي ورد في المصادر الكلاسيكية .

ـ إن مرسى الميناء يسمى اليوم كركمة وهذا الاسم أصله نبطي وهو مكون من مقطعين كرا ـ كومة ، وكرا هو اسم المكان وكومة في اللغة النبطية بمعنى الميناء أو القرية ، واسم كركمة الذي لا يزال يطلق على مرسى الميناء هو تسهيل لنطق كرا كومة التي تعني ميناء كرا أو قرية كرا ، وكما ذكرت أعلاه فإن هذه المنطقة كانت تسمى اكرا ، وكرا في المصادر العربية .

والجدير بالذكر أن حرف الألف الواقع في نهاية اسم كرا يأتي في اللغة النبطية بمعنى أل التعريف التي تدخل على الأسماء في اللغة العربية ، وعليه فيكون اسم كرا معادلاً لاسم الكر في اللغة العربية . والكر في الوقت الحاضر اسم منطقة تقع إلى الشرق من اكرا غير بعيدة عنها ، ولذلك فإنني اعتقد بأن اكرا ، وكرا ، والكر كلها اسماء لمنطقة واحدة ، وأن كل هذه الناحية كانت تسمى قديما كرا وأن ميناءها الواقع على البحر كان يسمى كرا ـ كومة وهو لا يزال حتى الآن يسمى كركمة .

● أكرا في المصادر العربية ●

ورد ذكر موقع أكرا في عدد من المصادر العربية باعتبار أن أكرا هي المنطقة التي يفيض فيها وادي اضم (الحمض) ويصب في البحر . ووادي اضم

الـذي يسمى اليـوم بـاسم الحمض من أكبر أوديـة الحجـاز، وهـو يسير من المدينـة، وتصب فيه عـدد من الأودية الشهيرة قبل أن يصب في البحـر، مثل وادي الجزل ووادي خيبر. وقد كتب اسم هذا المكان في المصـادر العربية بعدة أشكال، فقـد ورد اكرا وأكرى وأكره، وفي أقـدم الكتابات العـربية ورد اسم كرا (كـرى)، وقد نقل السمهودي عـن المطري أن سيل وادي اضم يصل إلى كـرى من طريق مصر ويصب في البحر (وفاء الـوفاء جـ ٣، ص ١٠٨١) ونقل عن الـزمخشري صـاحب كتـاب الجبال والأمكنـة أن أكـرا خبت بقـرب ساحل البحـر. كما أن اكرا ذكرت في كتـاب الرحـالة الحجاج الـذين وصفوا طريق الحج المصري كـابن فضل الله العمري، وكالجزيري في كتـاب الدرر، وزين العابـدين البكري، والخيـاري، والنابلسي. وهي تكتب عنـدهم أكره وأكرى، وفي العصر العثماني أنشئت بـركة في منزل الحجاج باكـرا. واكرا التي تذكر في كتب الرحالة الحجـاج تقع إلى الشرق من موقع ميناء اكـرا الذي تم اكتشافه بنحو ٨ إلى ١٠كم، ولم يشر أحد من الـرحالة الحجـاج أو الكتاب المسلمين إلى آثـار ميناء اكـرا، وربما لكونها بعيـدة عن مسار طـريق الحج. ويمكن أن نستنتج من مجموع مـاورد في كتب المؤرخين والرحـالة المسلمين أن النـاحية بأكملهـا كانت تحمل في عصرهم اسم كـرا أو اكرا الـذي هو أيضـاً اسم المنطقـة منذ القـرون السـابقة للميـلاد، وعليـه فإن الكتـاب اليونـانيين أطلقـوا اسم اقرا على هـذا الميـنـاء بسبب نطقهم لحرف الكاف في هـذا الاسم بصورة قريبة من نطق الجيم غير المعطشة.

• • •